فتحى الرملى

«إن الملكية الفردية تنتهى إلى تركيز الثروة فى يد طبقة ضئيلة هى حفنة من أصحاب المصانع، وحرمان طبقة كبيرة هى الشعب كله».
فتحى الرملى
(فى كتابه أهداف الاشتراكية)

ثمة أناس يناضلون بكل نفس من أنفاسهم، يعيشون النضال ليل نهار وفى كل تصرف من تصرفاتهم، ولهذا بهرنى منذ أيام صباى ذلك الرجل الذى أسمى ابنيه «لينين» و«ستالين»، والذى عاش حياته مناضلا بكل ذرة فى حياته وحتى آخر أيامها، سعيت نحوه حتى التقينا قبل رحيله بعامين (رحل فى ١٩٧٧/٦/٢)، وفى جلسة حميمية فى جروبى انطلق أبو لينين ليحكى بصوت واهن وكلمات بطيئة لكنها تمتلك بريقا ممتعا، «أنا من أسرة فقيرة، عانت أمى كثيرا كى تنفق علينا، بعد وفاة أبى دخلت المدرسة الصناعية بالمنيا قسم النقش لأشبع هوايتى فى الرسم، ثم تركتها إلى المدرسة الثانوية، كانت أمى تدوخ لتستدين مصروفات المدرسة، فتركت المدرسة محاولا أن أذاكر دروسى فى المنزل، وذات يوم وقعت فى يدى نسخة من جريدة «الصرخة» التى كانت تصدر عن مصر الفتاة، الكلمات الملتهبة استهوتنى وانضممت إليها، وذات يوم استدعانى وكيل المديرية ليحذرنى من نشاطى المحموم فوجد على سترتى دبوس مصر الفتاة (أهرامات ثلاثة ومكتوب تحتها.. الله، الوطن، الملك) ثار الرجل وتصور أننى أتحداه وأمر بإيداعى الحجز، وخرجت وأنا أكثر حماسا.. ألم أسجن مثل القادة الكبار؟، ووجدت عملا فى جريدة محلية اسمها «الإنذار» وكان راتبى مائة وثمانين قرشا فى الشهر، واعتبرت نفسى صحفيا وجمعت حولى عددا من الصبية وأصدرنا منشورا بعنوان «أرقام مخيفة» وتضمن معلومات مثل ٧٠٪ من أبناء الفلاحين معرضون للإصابة بالسل.. وهكذا، ثم مجموعة شعارات ساخنة

جدا، وقبض على الصبية وهم يوزعون المنشور، وقبض علىّ وأفرجت النيابة عنا لكن البوليس أمر بإبعادى عن المنيا فازددت زهوا فأنا أنفى مثل كبار الساسة، أتيت للقاهرة متعطلا ولم أجد عملا لفترة، كنت مصمما على أن أعمل صحفيا وأخيرا عملت فى «مصر الفتاة» وكان راتبى مجموعة من الكوبونات التى يرغب أصحابها فى الاشتراك بالجريدة وقيمتها جنيهان» لكن الفتى ما لبث أن اصطدم بأحمد حسين وهاجمه فطرد، وعمل بالقطعة فى مجلة «الشعلة»، ولأنه كان شعلة من الحماس لفت أنظار فرج جبران سكرتير التحرير، فأتى له بابن أخته الطالب أسعد حليم (أحد قادة العمل الشيوعى فيما بعد) ليدربه على العمل الصحفى، واشتعلت مناقشات بين الشابين واتسعت دائرة المناقشة.. الرملى أحضر زميلا قديما فى «مصر الفتاة» هو «بدر عوض» وحضر أيضا صالح عرابى «سودانى» وعبدالعزيز هيكل وموسى عبد الحفيظ، وقاده بدر عوض إلى مارسيل إسرائيل ثم ذهب إليه ومعه بقية المجموعة وبدأ مارسيل فى تدريس الماركسية لهذه المجموعة التى انضم إليها فيما بعد أنور كامل، وأسمت المجموعة نفسها «الخبز والحرية»، وعن طريق أنور كامل تلامس معهم جورج حنين وبقية التروتسكيين.

وذات يوم كانوا مجتمعين لكن النور انقطع وساد الظلام وعرفوا أن السبب هو أن جورج حنين لم يسدد قيمة الكهرباء بسبب خلاف حاد مع فتحى الرملى، وصاح الرملى: «لا نريد نقودكم سنعتمد على أنفسنا».. وأعجبه الاسم فسمى مجموعته «نحن أنفسنا». وإذ ابتعد الفتى عن مدرسة مارسيل إسرائيل وعن ممونه جورج حنين، وجد نفسه فى حيرة من أمره، ماذا يفعل؟ وقرر أن يدعو زملاءه إلى حوار مفتوح. إنها حفلة تفكير أسماها الرملى «أسبوع التفكير الحر» ودعا الجميع إلى حوار مفتوح وبلا قيود ودعا محاضرين ليبراليين أمثال د. إبراهيم ناجى وعبد المجيد نافع المحامى، لكن البوليس سئم من شغب الرملى فأغلق دار «نحن أنفسنا». ولم يهدأ الفتى، اتخذ له مقرا فى أحد أركان قهوة بحى الفوالة، يشترى صحف اليوم ويحضر الزملاء يقرأون ويناقشون ويتفقون على حضور ندوات ثقافية، كانت القاهرة تموج بها آنذاك، يحضرون ويناقشون ويشاغبون ومنهم تكونت مجموعة أسمت نفسها «الجبهة الاشتراكية». وأصبحنا الآن فى عام ١٩٤٤ والانتخابات البرلمانية على الأبواب، قاطعها الوفد لأنها تجرى فى ظل الأحكام العرفية، وانتهز فتحى الرملى الفرصة ورشح نفسه فى دائرة السيدة زينب وارتدى الأفرول الأزرق وتجول فى الحى، معلنا أنه مرشح العمال وأنه يرشح نفسه على المبادئ

الاشتراكية، والتف حوله عديد من اليساريين.

ونقرأ في تقرير لسليم زكى «مساعد حكمدار بوليس مصر» مؤرخ فى ١٩٤٤/١٢/٢١ يقدم فيه معلومات عن القبض على شخص «يدعى بخورمنشة بتهمة أنه يكتب على الجدران شعارات مثل «الاشتراكية ستقود العالم»، «الاشتراكية ضد الاستعمار»، وقد اعترف شفاهة بأنه كتب هذه الجمل المذكورة لأنه من أتباع فتحى الرملى، ويروج لانتخابه ويدعو للاشتراكية»، وتمضى المذكرة، «ومن هنا يتضح لسعادتكم أن فتحى الرملى وأفراد الجبهة الاشتراكية يقومون بدعاية مثيرة للخواطر ومخلة بالأمن العام». وقد تمادى الرملى فطبع جملة منشورات بحجة الدعاية الانتخابية يدعو فيها للاشتراكية. إنها مجرد حيلة لجأ إليها المشاغب فتحى الرملى ليدعو للاشتراكية، فالدائرة كان بها عشرة مرشحين منهم خصمه القديم أحمد حسين، ولا أمل له فى الفوز وإنما يريد تكرار اسم الاشتراكية ولهذا أسهم هنرى كورييل ولطف الله سليمان وجورج حنين فى تمويل معركته وحشد المتظاهرين معه.. وحصل على ٣٢ صوتا.

ولم يزل الفتى يناضل ولم يفقد الأمل.

* * *

«وأنجبت طفلاً وأخذت أفكر فى الأسماء أصلها وفصلها وقررت أن أسمى ابنى لينين».
فتحى الرملى

ولم يكن الأمر سهلاً، فاسم لينين أثار دهشة غامرة، ويروى الرملى: «سافرت سعاد زهير (الزوجة) إلى مؤتمر نسائى عالمى، وما إن حلقت الطائرة حتى تذكرت الأم وليدها وأخذت تبكى «يا حبيبى يا لينين» «يا ترى عامل إيه يا لينين» وسادت الدهشة ركاب الطائرة حتى علموا أن ابنها اسمه لينين. وعندما هبطت الطائرة أسرعت سعاد لترسل برقية إلى الأب «مشتاقة لك أنت ولينين» ويأتى البوليس فى أعقاب البرقية ويقتاد الأب إلى النيابة ويدهش وكيل النيابة ويسأل هل صحيح هناك طفل بهذا الاسم. ويضحك الأب المشاغب، سائلاً وكيل النيابة تحب حضرتك أجيب الولد باعتباره مضبوطات؟» (فتحى الرملى- قبل أن أعترف - صـ ٦٩). ويبقى أن نسجل انتصار الأب فابنه هو الفنان الرائع لينين الرملى. ومع تواصل الشغب يقبض على فتحى الرملى فى «قضية الشيوعية الكبرى»

عام ١٩٤٦، ويكون المتهم العاشر بتهمة أنه أسس «الجبهة الاشتراكية» وألف كتاباً بعنوان «أهداف الاشتراكية» فى عام ١٩٤٥. ويرد فى قرار الاتهام: «روج فى هذا الكتاب للشيوعية وكفاحها الثورى مؤكداً أنه لا فرق بين الشيوعية والاشتراكية فالكلمتان مترادفتان وكلتاهما تهدف لغرض واحد وفلسفتهما واحدة» (حيثيات الحكم فى قضية الشيوعية الكبرى ١٩٤٦). ويفرج عنه ليواصل شغبه ونضاله، لكنه هاجم بشدة عدداً من المنظمات الشيوعية لأنها قبلت قرار التقسيم، وتأتى حكومة الوفد عام ١٩٥٠ وتكون انفراجة ديمقراطية ويحدث لقاء غريب وغير متوقع.. خصوم الأمس التقوا معاً، منظمة «حدتو» وفتحى الرملى وأصدرا معاً جريدة «البشير». فتحى الرملى الصحفى المخضرم ومبارك عبده فضل الشيوعى المخضرم يصدران معا جريدة من أحد المقاهى، وكانت الجريدة جيدة التوزيع لكن هناك عجزاً قدره ثلاثون جنيها شهرياً تغطيها «حدتو»، وكانت الجريدة تلتهب ثورية على يد الرملى الذى اختار لها شعاراً «الحقيقة هى أثمن ما نناضل فى سبيله».

وكان الرملى قد استأجر الجريدة من ورثة صحفى قديم، ويتفق البوليس مع الورثة على فسخ عقد الإيجار، ويواصل الرملى معركته متحالفاً مع «حدتو» فيصدران جريدة أخرى بذات الحجم وذات الشعار واسمها «المستقبل» فقط أضافا إلى اسم الجريدة أنها مجلة ديمقراطية شعبية، وتغلق الجريدة بقرار أمنى ويعتصم الرملى فى نقابة الصحفيين ويضرب عن الطعام احتجاجاً على مطاردة الأمن له. وترد الحكومة الوفدية بإلقاء القبض عليه بتهمة «التحريض على ارتكاب جنايات القتل والحض على الثورة وبغض الطوائف» (مذكرة الأفوكاتو كامل غالى فى القضية العمالية ٢٥٨٣ لسنة ١٩٥٢)، ويرفع الرملى قضية أمام مجلس الدولة ويحكم لصالحه فى ٢٨ ديسمبر ١٩٥١، وبعدها بعشرة أيام يصدر جريدة المعارضة ويسعى الرملى لتأسيس حزب أسماه «الحزب الديمقراطى» وفى صدر جريدة المعارضة نقرأ «برنامج كامل لخلق مصر من جديد - إعلان تأليف الحزب الديمقراطى فى مصر»، ويطارده الرقيب وتصدر المعارضة وكثير من صفحاتها بيضاء، الرقيب شطبها والرملى يأبى إلا أن يسجل ذلك. وبعد حريق القاهرة ٢٦ يناير ١٩٥٢ يكون الرملى مؤهلاً تماماً للاعتقال ويختفى عن الأنظار تاركاً رئاسة الجريدة، وفى صدر العدد الصادر فى ١٩٥٢/١/٢٠ نقرأ: «اعتكف الأستاذ فتحى الرملى فى الأسبوع الماضى

لمرضه وقد عهد إلىّ برئاسة التحرير مؤقتاً فأرجو لصديقى العزيز عودة سريعة لقرائه». والتوقيع «إبراهيم البعثى». ويتعين علينا أن نحسب لفتحى الرملى أنه قاد فى هذه المرحلة حملة واسعة من أجل تأميم قناة السويس، ويقول إنه جمع نصف مليون توقيع من القراء مؤيدين لتأميم القناة.

وإذ تقال حكومة الوفد، ويأتى على ماهر، يكتب الرملى من مخبئة افتتاحية يحذر فيها على ماهر من العودة للمفاوضات ويكون عنوانها «إياك يا رفيع المقام» ويواصل الرقيب شطب مساحات بأكملها، وتكاد «المعارضة» أن تصدر بصفحات بيضاء. ويتوقف الرملى مرغماً.

ويواصل الرملى معاركه، تفصله نقابة الصحفيين بناءً على طلب الأمن بحجة أنه لا يتوافر فيه شرط حسن السير والسلوك، ويرفع قضية ويكسبها ويعاد قيده. وفى عام ١٩٥٨ نجح فى أن يعين فى جريدة «الجمهورية» لكنه يفصل بعد أسبوعين.

ويعين عام ١٩٦٧ فى دار التعاون، وفى عام ١٩٧٣ صدر قرار جمهورى بعودة الصحفيين الذين سبق فصلهم وأعيد لجريدة «الجمهورية» لكن رئيس التحرير رفض، تسرع دار التعاون بفصله بحجة أنه عين فى جريدة أخرى - ويتجه الرجل إلى نقابة الصحفيين ليصرخ فى وجه الظلم، كما اعتاد أن يصرخ ولكن صوته لم يطاوعه.. لسانه ثقيل. إنها جلطة فى المخ.

ومن فراش المرض، وفور إعلان منبر اليسار، يمسك فتحى الرملى القلم بيد مرتعشة من مرض عضال ويكتب «عزيزى الأستاذ الكبير خالد محيى الدين رئيس منبر اليسار أرجو قبولى عضوا منكم حتى أستطيع أن أساهم وإياكم فى تحقيق رسالتنا. أقدم طلبى وأنا طريح الفراش إذ أصبت بجلطة للمرة الرابعة، وفقنا الله لخدمة الوطن. فتحى الرملى تحريراً فى ١٩٧٦/٤/٣». وانتظرناه أن يأتى لكنه رحل فى ١٩٧٦/٦/٢.